الإعجاز البياني

في القرآن الكريم

القَدْر و البينة

محمد مبارك المزيودي

سورة القدر

قيل مكية ، وقيل مدنية ، وهي خمس آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾ ﴾

سبب النزول

قال أبو مصعب أحمد بن أبي بكر الزهري : حدثنا مالك **أنه بلغه أن رسول الله ﷺ أُرِيَ أعمار الناس قبله أو ما شاء الله ، فكأنه تقاصر أعمار أمته أن لا يبلغوا من العمل الذي بلغ غيرهم في طول العمر ، فأعطاه { ليلة القدر خير من ألف شهر }**

مقامات ليلة القدر

لقد أُدْرِجت هذه السورة في جملة مقامات ، تضافرت فيما بينها لبيان ما لليلة القدر من شرف ومقام عظيم :

المقام الأول : ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ القدر: ١

وشاهد هذا المقام في هذه الآية أمران :

الأول : استخدام ضمير الجمع الدال على الفاعلين " نا " وهو استخدام يشير إلى مقام العظمة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ الحجر: ٩ فاستخدم الضمير " نحن " ولم يقل " أنا " وذلك للدلالة على عظم وجلال ما أنزله ، وعلى عظم وجلال الليلة التي أُنزِل فيها القرآن العظيم .

الثاني: أن الله تعالى جعل هذه الليلة هي الحد الزمني الذي تجلّى فيه بكلامه .

﴿ أَنزَلْنَٰهُ ﴾ رُوي في تفسير الكلمة أن المراد هو إنزال القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، وهو عندي القول الفصل ، وذلك بالنظر إلى أن القرآن ورد فيه استخدام الفعل " نَزَّل "في مواضع عديدة ، وهي صيغة تفيد معنى التدرج ، وفي ذلك إشارة إلى نظام تنزيله على قلب رسول ﷺ ، فهو لم ينزل على قلبه جملة واحدة ، بل نزل منجماً " مُفَرّقاً " على مدى ثلاث وعشرين سنة . أما " أنزل " فلا تحمل معنى التدرج ، ولذلك هي أقرب إلى معنى الإنزال جملة واحدة ، وهو ما اخترته من قول المفسرين ..

﴿ لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴾ اختار الله عز وجل ليلة أرضية لتكون الحد الزمني الموافق لأوان نزول القرآن من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا ، واختيار الليل تحديداً ليكون أوان إنزال القرآن ملمح من الملامح التي تشير إلى ما لليل من مقام ، وكنا قد رأينا شواهده في تكرار القسم به ، بل وتسمية سورة من سور القرآن باسمه .

﴿ ٱلْقَدْرِ ﴾ قيل في بيانها : ليلة التقدير ، سُمِّيت بذلك لأن الله تعالى يُقَدّر فيها ما يشاء من أمره إلى مثلها من السنة القابلة ؛ من أمر الموت والأجل والرزق وغيره ، ويُسْلِمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة : إسرافيل وميكائيل ، وقيل سُمِّيت بليلة القدر لعِظَمِها وقَدْرها وشرفها .

القول الأول هو معنى ما رُوي عن ابن عباس ، والقول الثاني لا يخرج معناه عن القول الأول ؛ لأن عِظَمها وشرفها قائم على تلك التقديرات التي يُجْريها الله تعالى في أوانها . ووجه المقارنة بين ذكر ليلة القدر بهذا المعنى وبين إنزال القرآن هو أن أعظم ما قدّره الله تعالى للناس في هذه الليلة بل وفي مدة وجودهم في الأرض هو قَدَر الهداية بالقرآن العظيم .

﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ﴾ القدر: ٢ □

استفهام بلاغي ، الغرض منه الإشارة إلى عِظَم شأن ليلة القدْر .

المقام الثاني :﴿ لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ ﴾ القدر: ٣

ليلة القدْر بهذا المقام ليلة لا تعدلها أي ليلة من ليالي الأرض :

- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال

لما حضر رمضان قال رسول الله ﷺ : ﴿ **قد جاءكم شهر رمضان ، شهر مبارك ، افترض الله عليكم صيامه . تُفْتح فيه أبواب الجنة ، وتُغْلق فيه أبواب الجحيم ، وتُغَلّ فيه الشياطين . فيه ليلة خير من ألف شهر ، من حُرِم خيرها فقد حُرِم** ﴾ رواه أحمد والنسائي .

فوصْفُ ليلة القدر بأنها خير من ألف شهر يستدعي أن يكون ثواب الطاعة فيها خيراً من ثواب أداء هذه الطاعة على مدى ألف شهر ، وبهذه الخاصية كان لأمة محمد ﷺ فضل على سائر الأمم وبيان ذلك فيما يلي :

إن منظومة الثواب مرهونة بمقدار العمل ، ومقدار العمل مرهون بمقدار الوعاء الزمني ، فمع العمر الطويل تزداد مساحة العمل ، وبالتالي تزداد مساحة الثواب ، وأعمار أمة محمد ﷺ ما بين الستين والسبعين ، ولذلك كان نصيبهم من العمل " العبادات والطاعات " أقل من نصيب الأمم السابقة لها ، وهو ما يستدعي أن يكون الثواب أيضاً أقل ، فأكرم الله عبده ورسوله في أمته بأن جعل الثواب على العمل في ليلة واحدة يفوق مقدار الثواب على أداء هذا العمل على مدى ألف شهر ، وبهذه الخاصية يختزل المسلم في ليلة واحدة عمر نوح عليه السلام . فلو أن المسلم صادف ليلة القدر في كل عام ، وذلك على مدى خمسين عاماً ، فإن إجمالي الشهور المحسوبة له سيكون على الوجه التالي : 50 × 1000 = 50000 شهراً ، وهي بحساب السنين تربو على **أربعة آلاف سنة** . أي أن المسلم إذا تعبّد لله في ذلك العدد

من ليالي القدر كان له من الثواب ما يعادل ثواب أدائها على مدى **أربعة آلاف سنة** .
فالحمد لله الذي أكرم أمة محمد ﷺ بهذا الفضل العظيم .

ومقام العطاء في ليلة القدر لا يقف عند هذا الحد ، بل يتجاوزه إلى ما يلي:

- لم تذكر الآية أن ليلة القدر تعادل ألف شهر ، بل ذكرت أنها خير من ألف شهر ، أي أن الثواب يتجاوز ذلك الكم ، ولم يحدد المولى عز وجل مقدار تلك الخيرية ، لتكون بذلك مفتوحة على مساحات واسعة من الثواب لا يعلم مقدارها أحد إلا الله .
- ولا يقف المقام عند حد الثواب ، بل قرنه جل شأنه بالغفران ، وهو قول رسول الله ﷺ : ﴿ **من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غُفِر له ما تقدم من ذنبه** ﴾ رواه البخاري ومسلم

وعلى ذلك فهذا المقام له واجهتان ؛ ثواب وغفران ، أما الثواب فهو ذلك الكم العظيم الذي فصلته قبل قليل ، وأما الغفران فهو محو ما سلف من ذنوب ... وكل ذلك التفت إليه ﷺ إذ قال " **من حُرِم خيرها فقد حُرِم** " لأن الحرمان من الشيء اليسير لا يُعَدّ حرماناً ، أما الحرمان من الشيء العظيم الجليل فهو الحرمان الحقيقي .

المقام الثالث :

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ القدر: ٤

- الفعل ﴿ تَنَزَّلُ ﴾ على وزن : تَفَعَّل ، وهو وزن يفيد الكثرة والتدرج ، أي أن الملائكة ينزلون أفواجاً أفواجاً إلى أن يكتمل نزولهم . وأصل الفعل هو " تتنزل " حُذِفت منه تاء المضارعة ، ليس فقط لكراهة تكرار المتشابهات بل أيضاً للدلالة على سرعة نزولهم إلى الأرض .

- ﴿ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ لا خلاف في مدلول الملائكة ، أما الروح فقد وردت في تأويله أقوال عديدة ، اخترت من بينها قولين ؛ **الأول :** جبريل عليه السلام ، **والثاني : هم صنف من الملائكة** . وهذان القولان هما عندي بمثابة قول واحد ، وذلك لأن جبريل عليه السلام ملك من

الملائكة سماه الله باسم الروح الأمين والروح القُدُس ، فهو بذلك من صنف الملائكة الذين تسري عليهم دلالة الروح ، **فما هو سبب تسميتهم بهذا الاسم ؟ ولماذا خصّهم الله بالذكر مع أنهم من جنس الملائكة ؟**

سبب تسميتهم بالروح هو أنهم الملائكة الموكلون بنفخ الروح فيمن أراد الله له الحياة ، وأبدأ بذكر الروح الأمين جبريل عليه السلام؛ لأنه رأس أولئك الصنف من الملائكة ، قال تعالى : ﴿ فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ ﴾ مريم: ١٧ – ١٩

فكيف وهب لها هذا الغلام الزكي ؟

قال تعالى : ﴿ وَٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا ﴾ الأنبياء: ٩١

وقال تعالى : ﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا ﴾ التحريم: ١٢ . فقد أسند جل شأنه النفخ إلى نفسه باستخدام ضمير الجمع الدال على الفاعلين ، وفي ذلك إشارة إلى أنه سبحانه لم يباشر النفخ بنفسه ، إذ لو كان الأمر كذلك لقال" نفخت " مثلما قال ذلك في خبر خلق آدم عليه السلام، فوجه إسناد النفخ إليه في قوله " نفخنا "هو صدور الأمر منه سبحانه إلى المَلَك بنفخ الروح ، وهو ما عبّر عنه جبريل عليه السلام بقوله : ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ فهو الذي باشر فعل الوهب بتكليف من الله تعالى . واختصاص جبريل عليه السلام دون غيره من الملائكة بهذه النفخة إنما جاء اعتباراً لشرف الإنسان الذي سينبعث من هذه النفخة ، وهو عيسى عليه السلام نبي الله ورسوله .

فإذا كان جبريل عليه السلام هو المُكَلَّف بنفخ روح الإنسان " عيسى عليه السلام " فكيف يجري أمر النفخ مع غيره من الناس ؟

قال رسول الله ﷺ : **« إن خَلْق أحدكم يُجْمَع في بطن أمه أربعين ليلة ، ثم يكون علقة مثلَه ، ثم يكون مضغة مثله ، ثم يبعث الله إليه المَلَك ، فيُؤْذَن**

بأربع كلمات : فيكتب رزقه وأجله وعمله ، وشقي أو سعيد ، ثم يَنْفُخ فيه الروح ...﴾ رواه البخاري ومسلم .

ينفُخ : فعل مضارع مبني للمعلوم ، والفاعل ضمير مستتر تقديره " هو " يعود على " المَلَك " أي أن هذا الملك هو الذي يقوم بنفخ الروح في الجنين .

واستناداًإلى كل ما سبق فإن " الروح " هم صنف من الملائكة جعل الله لهم صلاحية نفخ الروح فيمن أراد الله أن يحييه ، ورأس أولئك الملائكة هو جبريل عليه السلام ، حاله في ذلك كحال عزرائيل وميكائيل وإسرافيل ، كلٌّ منهم مكلف بأمر من أمور الخَلْق ، وقد جعل الله تحت إمرة كل منهم خَلْقاً من الملائكة يأتمرون بأمره . فعزرائيل ، مثلاً ، يُصْدِر أمره لمن تحت يده من الملائكة بقبض روح من حلّ أجله ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾ الأنفال: ٥٠ فأسند فعل التوفي إلى جمع الملائكة ، لا إلى مَلَكٍ واحد .

- وقد تم توحيد اللفظ " الروح " مع أنهم أعداد كبيرة ، التفاتاً إلى الأصل الذي كان منه الروح ، وهو الله الخلاق العليم ، فكلهم بدون استثناء " روح الله " ، ويُؤيدنا في هذا الوجه أن نفخ جبريل عليه السلام في مريم العذراء قال فيه جل شأنه : ﴿ فَنَفَخْنَا ﴾

- ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ قوله " بإذن " جار ومجرور متعلق بالفعل " تَنَزَّل " والملائكة لا يتنزلون من تلقاء أنفسهم ، بل بأمر من الله تعالى : ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ مريم: ٦٤ إلا أن التنزل في آية " القَدْر " لم يأتِ بعد أمر من الله تعالى ، بل بعد " إذن " منه سبحانه ، أي أن الملائكة الذين هم بصدد التنزل يعلمون أن مهماتهم تستدعي نزولهم في تلك الليلة ، ولكنهم لا يبادرون إلى التنزل من تلقاء أنفسهم ، بل ينتظرون الإذن من ربهم ، فإذا أذن لهم تنزلوا .

أما الغاية التي يتنزلون من أجلها فقد ذكرها الله عز وجل بقوله ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ وقد وجهه أهل التفسير إلى وجهتين :

بكل أمر قدّره الله لتلك السنة إلى قابل .

من أجل كل أمر قضاه الله لتلك السنة إلى قابل .

والذي دفعهم إلى هذين التأويلين أن " الأمر " لا يكون منه تنزّل بل يُنْزَل به أو من أجله . هذا في حال النظر إليه في واقع الإنسان ، ولكنه في حال إسناده إلى الله تعالى يجب أن ننظر إليه منه منظور خاص ، وذلك أن أَمْرَه أَمْرُ خَلْق وتكوين ، والملائكة الذين يتنزلون إنما يتنزلون من هذه الأوامر ، فهم جزء منها ، وقد جاء في الأثر أن مالكاً رحمه الله قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ الرحمن: ٢٩ أمور يُبْديها ولا يبتديها ، أي أن أمور الخلق موجودة في علمه الأزلي فهو يُبْديها ، أي يُظْهرها في أوانها ، والملائكة تتنزل منها ؛ لأنهم من جملة ما قدّره الله في تلك الأمور .

وقد اجتمع في الآية حدان : الإذن ﴿ بِإِذْنِ رَبِّهِم ﴾ والأمر ﴿ مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴾ وذلك لاستيعاب غاية هذا التنزل ، وهو إقرار كل أمر قضاه المولى عز وجل ابتداء من تلك الليلة إلى أختها من العام التالي .

المقام الرابع :﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ القدر: ٥

لا يجوز في اللغة العربية الابتداء بالنكرة إلا بمسوغات ، وفي هذه الآية لم يَرِدْ من تلك امسوغات شيء ، ولذلك قيل إن ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ خبر مقدم ، والضمير ﴿ هِيَ ﴾ مبتدأ مؤخر . إلا أنني أرى الأمر على غير هذا الوجه ، وهو أن كلمة ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ خبر ، أما المبتدأ فهو ﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ المذكورة في الآية الثالثة ، فبعد السؤال :﴿ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ أجاب الله عزوجل على ذلك بأخبار متعددة :

﴿ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴾ ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ الخبر الأول

﴿ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ ﴾ الخبر الثاني

﴿ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴾ الخبر الثالث

أما الضمير ﴿ هِيَ ﴾ فقد ذُكِر مراعاة لأمرين ؛ الأول : استطالة الكلام بين المبتدأ ﴿ لَيْلَةُ

ٱلْقَدْرِ ﴾ وبين الخبر ﴿ سَلَٰمٌ ﴾ والثاني : أنه تأكيد لحصول السلام في ليلة القَدْر ، وهو ما فهمه السلف الصالح فصاغوا ذلك بقولهم : **ما هي إلا سلام**

● أقرب ما قيل في تفسير ﴿ سَلَٰمٌ هِىَ ﴾ أنها سلامة كلها ، لا شَرَّ فيها ، إلا أن الكلمة لها آفاق أوسع من مضمون تلك الكلمات ، فالجنة سماها الله تعالى : دار السلام ، وأنبياء الله اختزل الله فيض رحمته على كلٍّ منهم بلفظ " سلام " ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ الصافات: ٧٩ وهذا السلام جعله الله في ليلة القدر ، فمن تحراها وتعبد لله فيها كان من الحائزين على ذلك السلام .

وهذا العطاء العظيم قضى الله أن يكون بابه مفتوحاً إلى حين طلوع الفجر ...

تعيين ليلة القدر

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال : **اعتكفنا مع رسول الله ﷺ العشر الأوسط من رمضان ، فخرج صبيحة عشرين وخطبنا وقال : ﴿ إني أُرِيتُ ليلة القدر ثم أُنْسِيْتُها ـ أو نُسِّيْتُها ـ فالتمسوها في العشر الأواخر في الوتر . وإني رأيت أني أسجد في ماء وطين ﴾ فرجعنا وما نرى في السماء قَزَعة ، فجاءت سحابة فمطرت حتى سال سقف المسجد ، وكان من جريد النخل ، وأُقيمت الصلاة فرأيت رسول الله ﷺ يسجد في الماء والطين ، حتى رأيت أثر الطين في جبهته .** رواه البخاري ومسلم

أي أنها إذ ذاك كانت ليلة الحادي واالعشرين .

● وعن زرّ بن حبيش أنه سمع أُبَيّ بن كعب يقول :

... إنها ليلة سبع وعشرين ، ثم حلف ـ لا يستثني ـ أنها ليلة سبع وعشرين ، فقلت : بأي شيء تقول ذلك ياأبا المنذر ، قال : بالعلامة التي أخبرنا رسول الله ﷺ : أنها تطلع يومئذ لا شعاع لها . رواه مسلم

أبو المنذر ﷺ صادق فيما حلف عليه ، فهو لم يعُدْ بالخبر إلى رسول الله ﷺ ، بل أرجعه إلى نفسه ، إذ كان يُخبر عن ليلة من ليالي القدر مرت عليه ، وشهد علامتها صبيحة سبع وعشرين ، وليس في ذلك ما يتعارض مع الحديث السابق ؛ لأن إخبار رسول الله ﷺ بأنها في الوتر من العشر الأواخر يستدعي أنها متنقلة .

●عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال :

قال رسول الله ﷺ ﴿ يا أيها الناس ، إنها كانت أُبينت لي ليلة القدر ، وإني خرجت لأخبركم بها ، فجاء رجلان يحتقان ، معهما الشيطان ، فَنُسِّيْتُها ، فالتمسوها في العشر الأواخر من رمضان ، التمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة ﴾ رواه البخاري ومسلم

حكمة اعتكاف العشر الأواخر

● عن عائشة ﷺ : **أن النبي ﷺ كان يعتكف العشر الأواخر من رمضان حتى توفّاه الله تعالى ، ثم اعتكف أزواجه من بعده .** رواه البخاري ومسلم . وعنها أنها قالت : **﴿ إن النبي ﷺ كان إذا دخل العشر الأواخر أحيا الليل ، وأيقظ أهله ، وشد المئزر ﴾** رواه البخاري ومسلم . فكان حرص المصطفى ﷺ على اعتكاف العشر الأواخر من رمضان التفاتاً إلى وقائع جليلة القدر والمقام :

أولاها : تجاوز احتمال الخطـأ

وذلك أن الأمة قد يلحقها الخطأ في تقدير بداية رمضان ، تقديماً أو تأخيراً ، وساعتئذ سيكون الوتر شفعاً ، والشفع وتراً ، فتضيع على المسلم تلك الليلة وما لها من فضل عظيم ؛ لأنه سيكون قد قام شفع تلك الليالي لا وترها . فكان استيعاب الليالي العشر جميعاً نفياً لذلك الاحتمال ، وتأكيداً على موافقة ليلة القدر .

وثانيها : استيعاب الفضل كله

وذلك أن الليلة تبدأ من غياب الشمس إلى قبيل شروق الشمس ، والليلة وحدة زمنية مقسمة إلى ساعات ودقائق وثوانٍ ، وليس من الحكمة أبداً أن يضيع الإنسان ثانية واحدة

من هذه الليلة ، ولبيان ذلك أذكر قول رسول الله ﷺ : ﴿ من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة ، والحسنة بعشر أمثالها ، لا أقول ﴿ الٓمٓ ﴾ ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف ﴾ رواه الترمذي

فكل حرف من هذه الحروف الثلاثة يستغرق ثانية واحدة ، وقد جعل الله عزوجل الجزاء عليها عشراً ، فإذا استحضرنا قول الله تعالى ﴿ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ وأن هذه الشهور تُعَدُّ : **29500** يوماً ، كان هذا العدد هو مقدار مضاعفة تلك الثانية التي نطقنا فيها حرف الألف ، فإذا ضربناه في الرقم عشرة كان الناتج كما يلي : **295000** ، أي مليونان وتسعة آلاف وخمسمائة حسنة . هذا في الثانية الواحدة . بل إن الأمر لا يقف عند هذا الحد ، وذلك أن ثواب قراءة القرآن في رمضان أكبر من ثواب قراءته في سواه ، وقراءته في الصلاة أعظم ثواباً من قراءته في غير الصلاة ، لتكون المحصلة مضاعفة المليونين إلى ملايين عديدة . **أفيجوز للمسلم أن يضيع هذه الثانية ؟؟**

ثالثها : سبيل ذلك الاستيعاب

ولكن المسلم أعجز من أن يستوعب كل ثانية من تلك الليلة المباركة ، وذلك أنه لايملك إلا أن يغفل قليلاً أوكثيراً عن ذكر الله في ذلك المقام ، ولذلك سن المصطفى ﷺ سنة الاعتكاف لاغتنام كل ثانية من ثواني تلك الليلة ، ومستند هذه السنة قوله ﷺ : ﴿ لا يزال العبد في صلاة ما كان في المسجد ينتظر الصلاة ما لم يُحْدِث ﴾ رواه البخاري ومسلم

فأنت بالاعتكاف إنما تحبس نفسك في المسجد لله تعالى ، وبذلك أنت في عبادة ، ومن جهة أخرى فإن مُكْثك في المسجد في انتظار الصلاة بعد الصلاة يجعلك في صلاة غير منقطعة ، حتى وإن كنت منشغلاً ببعض أمرك عن ذكر الله . أي أنك بهذا الاعتكاف إنما تستغل كل ثانية من ثواني ليلة القدر في طاعة الله ؛ وذلك للفوز بذلك الفضل العظيم المرصود في تلك الليلة العظيمة .

فما أحوج كل مسلم إلى أن يُوضّع في صحيفته من الحسنات ما يُحتاج معه إلى عشرات الآلاف من السنين ، والذي لايتسنى له إلا باقتناص ليلةالقدر .

سورة البينة

مدنية في قول الجمهور ، وهي ثمان آيات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ
ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا
تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا
لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ
ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ
خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ
رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ البينة: ١ – ٨

قرين السورة

هو رجل من الصحابة ، لا تُقْرَأ هذه السورة إلا ونذكر معها ما جعل الله له من شرف ورفعة ، فعن أنس ﷺ : أن رسول الله ﷺ قال لأُبَيّ بن كَعْبٍ : ﴿ إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ ﴾ قال : وسمّاني ؟ قال :﴿ نعم ﴾ فبكى .

رواه البخاري ومسلم

ومستند هذا المقام أن أُبياً ﷺ كان أكثر الصحابة جمعاً للقرآن في صدره ، وأبلغهم علماً بآياته ، وقد شهد له ﷺ بذلك في قوله : ﴿ أَقْرَأُ أُمّتي أُبَيٌّ ﴾ رواه الترمذي وأحمد وابن ماجه . وفي شأن علمه بآي القرآن أيضاً ما رواه أُبيٌّ نفسه ، قال : قال لي رسول الله ﷺ : ﴿ ياأبا المنذر ، أي آية معك في كتاب الله عز وجل أعظم ؟ فقلت :﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥ قال : فضرب صدري ، وقال : ﴿لِيَهْنِك العِلْمُ أبا المنذر ﴾ رواه مسلم

وقد قال ﷺ في هذا الباب : ﴿ إن لله أهلين من الناس ﴾ قالوا يا رسول الله : من هم ؟ قال ﴿ هم أهل القرآن ، أهل الله وخاصته ﴾ رواه ابن ماجه والبزار في مسنده .

ولنا أن نقرأ من هذا الحديث أن الله تعالى إنما أكرم أبياً بهذا المقام ليعلم الناس أن كل من كان ذا صلة وثقى بكتاب الله ، حفظاً ودراسة ، هو من أهل الله ، يذكره الله تعالى مثلما ذكر أُبيّاً ﷺ

مقاطع السورة

لقد ارتأيت أن أُدرج السورة في مقطعين اثنين :

1 ـ حال الذين كفروا مع البينة

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾ ﴾ البينة: ١ – ٥

2 ـ مآل الكفار ومآل المؤمنين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾

البينة: ٦ – ٨

التفسير والبيان

1 ـ حال الذين كفروا مع البينة

يَعرض جل شأنه في هذا المقطع لموقف الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين حال مجيء البينة إليهم ابتداء ، وحال ترددها بين ظهرانيهم :

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ البينة: ٦

الذين كفروا من أهل الكتاب : اليهود والنصارى

المشركين : سوى اليهود والنصارى من أهل الضلال .

منفكين : أي تاركين ما هم عليه من كفر وشرك .

هذا ما اختاره أهل التفسير في دلالة : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ بل وقصروا المعنى على أولئك الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ . وهو اختيار لا يستقيم ؛ وحجتنا في ذلك أن الله تعالى قسم الناس في آخر السورة إلى فريقين ؛ الأول : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ البينة: ٦ والثاني : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ البينة: ٧ . وهو تقسيم يستوعب الناس جميعاً ، وعلى مر الزمان ، بما في ذلك أهل الإسلام . أي أن االدلالة في قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ دلالة عامة ، وهو ما يستدعي النظر في مستويات الشرك والكفر :

قال تعالى : ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ المائدة: ٧٣ . وهم النصارى ، وذلك أنهم لم ينكروا وجود الله ، بل أقروا به ، إلا أنهم جعلوا له شريكين في الألوهية ، وهو قولهم ﴿ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ ﴾ فوصفهم بالكفر على أمر كانوا فيه مشركين ، أي جعلوا لله شريكاً في الألوهية ، ووجه التناسب بين وصفهم مرة بالشرك ومرة بالكفر أن الكفر في اللغة يعني التغطية ، وهؤلاء الذين جعلوا لله شريكاً كفروا حقيقة واجبة لله ، وهي أنه ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ الإخلاص: ٣ – ٤ فهم من جهة مشركون ، ومن جهة أخرى كافرون ، وكذلك هو الشأن مع اليهود :

﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ ﴾ التوبة: ٣٠ ولذلك قال تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾.

وهذا المعنى الثابت في شأن اليهود والنصارى لا يصلح إسقاطه على أحد من أهل الإسلام ؛ لأنهم موحدون . فهل نجد في نصوص الشريعة ما يصبغ المسلم بصبغة الكفر حتى وإن كان من جملة الموحدين ؟؟

قال ﷺ : ﴿ بيْنَ الرّجُلِ وبيْنَ الكُفْرِ تَرْكُ الصلاةِ ﴾ رواه مسلم وأحمد والترمذي .

لا سبيل إلى وصف الرجل بأنه كافر إلا إذا كفر أمراً يتعلق بمعنى التوحيد ، فكان وصف تارك الصلاة بالكفر في ظل كونه من أهل الإسلام سبباً يجعل الصلاة مدرجة في معنى التوحيد ، ليكون كفره بترك الصلاة مثل كفر أهل الكتاب ، من حيث أنه تغطية " كفر " لجانب من الجوانب المُسْتَحَقَّة للتوحيد .

والمنافقون معدودون من أهل الإسلام ، ولذلك لم يُحِلّ الله لرسوله ﷺ ولا للمؤمنين قتالهم ، فماذا قال فيهم جل شأنه ؟ ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ ﴾ المنافقون: ٣ . وفي شأن النفاق قال ﷺ : ﴿ **أربع من كُنّ فيه كان منافقاً خالصاً : من إذا حَدّث كَذَب ، وإذا وعد أخلف ، وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر . ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يَدَعَها** ﴾ رواه البخاري ومسلم .

فوصف الله المنافقين في الآية بالكفر " **كفروا** " ثم جاء المصطفى ﷺ ووضع الخطوط العامة التي تجعل المسلم منافقاً ، وهذه الخطوط ينضوي تحتها الكثير مما شرعه الله ، ليكون المنافق بجملة ما يُعْرِض عنه من شرع الله كافراً . والمعنى أن الذي يتنكب شرع الله تعالى ، ويمضي على هواه كافر بذلك الشرع حتى وإن لم يُضْمر نية الكفر .

ووفقاً لما سبق بيانه فإن قوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ تمضي دلالته على اليهود وعلى النصارى وعلى طائفة من المسلمين ، مع اختلاف جهة الكفر لدى المسلم عما هي عليه لدى اليهود والنصارى .

• ﴿ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ استوعب جل شأنه الذين كفروا من اليهود والنصارى والمسلمين بقوله : ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ ولكن الناس ليسوا جميعاً أهل كتاب ، فهناك أمم تعبد الحجر ، وأمم تعبد الشجر ، وأخرى تعبد الكوكب وأشياء أُخَر ، ولأجل ذلك جاء قوله تعالى ﴿ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ ليستوعب به كل من كفر من غير أهل الكتـاب ، وهنا تتجلى دلالـة العموم التي أشرنـا إليـها ، والتي انبنى عليها ذلك المآل في ختام السورة .

فهل يقال لعابد الوثن مشرك وهو لا يعرف الله ؟؟

يُقال له ذلك إذا نظرنا إلى حقيقة أن الله تعالى أودع في فطرة كل إنسان الإيمان بالله رباً ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَإِذۡ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰۛ شَهِدۡنَآ ﴾ الأعراف: ١٧٢ . وقد أُخذ هذا الميثاق على الناس جميعاً في عالم الذر ، ودليل اشتمال كل إنسان على هذا الميثاق أن نفسيته لا تستقر إلا إذا آمن بقوى غيبية ، يلجأ إليها عند الملمات ، فهو بذلك إنما يمضي على ما فُطِر عليه ، وهو عبادة الله ، إلا أنه يخطئ الطريق عندما يجعل من الصنم والوثن إلهاً ورباً ، ومن هذا الوجه يكون مشركاً ، أي جعل لله شريكاً بالنظر إلى ما هو مُوْدَع في فطرته . وقد جاءت الآية المذكورة آنفاً متبوعة ببيان حكمة الله تعالى من أخذ ذلك الميثاق ، وهو قوله تعالى : ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنۡ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ١٧٢ أَوۡ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةٗ مِّنۢ بَعۡدِهِمۡۖ أَفَتُهۡلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ١٧٣ ﴾ الأعراف: ١٧٢ – ١٧٣ . فقد أدرج جل شأنه كل من خالف هذه الفطرة في دائرة المشركين ﴿ إِنَّمَآ أَشۡرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبۡلُ ﴾ .

وقوله ﴿ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ جمع مذكرسالم ، مجرور بالياء لأنه معطوف على كلمة ﴿ أَهۡلِ ﴾ المجرورة بحرف الجر " من " فالفريقان ، كلاهما ، واقع في دلالة ﴿ كَفَرُواْ ﴾ فإذا كان كفر أهل الكتاب على الوجه الذي فصلته فيما سبق ، فإن كفر المشركين على غير ذلك ، وما ذاك إلا لأنهم ليسوا أهل كتاب ، فهم عبدة الأوثان .

• ﴿ مُنفَكِّينَ ﴾ الفَكُّ : حل الشيء من ارتباط ، وهؤلاء الذين كفروا مرتبطون بحالة الكفر ، وانفصالهم عن هذه الحالة ليس أمراً هيناً ، بل هو أمر يحتاج إلى مثابرة ومعالجة متتابعة ، ولذلك تمّ استخدام الانفكاك ؛ لما في أصل الكلمة " انفكّ " من تضعيف ، لدلالة التضعيف في اللغة على المبالغة في الفعل .

• ﴿ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾ حتى : حرف يفيد الغاية ، أي أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين باقون على كفرهم إلى حين مجيء البينة ، فإذا جاءتهم البينة انفكوا عن حالة الكفر . وعلى ذلك فالأسلوب يفيد بشكل قاطع أنهم سينفكون عن حالة الكفر إذا جاءتهم البينة . ووفقاً لهذا المعنى لا يجوز بأي حال من الأحوال ربط دلالة الآية بزمن رسول الله ﷺ وذلك أن قطاعاً كبيراً من الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين لم ينفكوا عن حالة الكفر آنذاك . وهو ما يستدعي النظر والتدبر في دلالة البينة وحدِّها الدلالي الذي سينفك عنده كفر كل كافر :

﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣ ﴾ البينة: ٢ – ٣

هاتان الآيتان هما الوصف البياني للبينة المذكورة في الآية السابقة ، والرسول المذكور في الآية هو محمد ﷺ ، كما ذكر أهل التفسير ، وهنا يَعْرِض لنا ملحظان :

الأول : أن الذين كفروا من أهل الكتاب لم يكونوا هم المعنيون ابتداء ببعث محمد ﷺ ، فالمعنيون ببعثه ابتداء هم المشركون من الناس ، قال تعالى:﴿ وَأَرۡسَلۡنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولٗا ﴾ النساء: ٧٩ والذين كفروا من أهل الكتاب طائفة من الناس . إلا أننا نلاحظ أن الآية قدّمت أهل الكتاب على المشركين ، وهو تقديم لا يتعارض مع ما ذكرته قبل قليل ، لأنه تقديم تم النظر فيه إلى أن السورة ليست بصدد ذكر بعث محمد ﷺ ، إنما بصدد ذكر موقف الناس أمام ما يَعْرض لهم من البينة التي أُرْسِل بها محمد ﷺ ، ولذلك تم تقديم أهل الكتاب ؛ لأنهم هم الأقرب إلى الخضوع إلى سلطان البينة .

الثاني : فإذا قيل : إن تقييد البينة بقوله : ﴿ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴾ يجعل

دلالة الآية الأولى مقصورة على زمن بعث محمد ﷺ ، فأقول : نعم ، الأمر سيكون على هذا الوجه لو أن الأرض أصبحت خالية من صحف مطهرة قويمة ، فقد كان من شأن الناس مع رسالات السماء أنهم إذا طال عليهم الأمد حرفوا كلام الله تعالى ، فيجدد الله لهم الخطاب في رسالة جديدة تصحح ما وقعوا فيه من تحريف وضلال . أما صحف محمد ﷺ فقد حفظها الله تعالى من التحريف ، فهي تُتْلى على مر الزمان كما تلاها جبريل عليه السلام على محمد ﷺ . ولذلك فإن مضمون قوله تعالى : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴾ باقٍ على طول الزمان ، وذلك أن الناس يتلون هذه الصحف كما تلاها ﷺ ، وكأنه ما زال حياً بين ظهرانيهم .

• ﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾ لو كانت البينة مقصورة على تلاوة الصحف المطهرة لاقتصر البيان على الآية السابقة ، ولكن ها هو جل شأنه يُلْحِق تلك الآية بآية أخرى ؛ لتكون دلالة " البينة " أكثر اتساعاً .

﴿ فِيهَا ﴾ في : حرف جر يفيد الظرفية ، أي أن تلك الصحف المطهرة منطوية على كتب قيمة ، **فما هي هذه الكتب القيمة ؟؟**

الصحف المطهرة التي تلاها محمدﷺ هي القرآن ، وقد ذكره الله كثيراً بلفظ الكتاب . وعلى ذلك فالمعنى : كتاب فيه كتب قيمة ، وهو معنى لا يستقيم إلا في حالة واحدة لا ثاني لها ، وهي أن يكون ما في الكتاب بياناً تتأسس عليه كتب قيمة ، وهو ما يشهد له الواقع شهادة بالغة ، فقد انبثقت من هذه الصحف " القرآن " كتب عديدة : إيمانية وفقهية ولغوية وعلمية وتاريخية ...إلخ . وعلاقة الصحف المطهرة بالكتب القيمة هي ذات العلاقة التي أشار إليها جل شأنه في قوله : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ ﴾ القيامة: ١٧ – ١٩. فالقرآن وبيانه هو مضمون ﴿ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ التي تنساق دلالتها إلى الصحف المطهرة وإلى ما ينبثق عنها من كتب قيمة . وقد وصف الله هذه الكتب بأنها ﴿ قَيِّمَةٌ ﴾ وفي ذلك التفات إلى مضامينها ، وهو أنها مضامين مُفْضية إلى الإيمان بالله تعالى . وأضرب لذلك مثلاً بخلق الإنسان الذي ذكرته الصحف المطهرة بألفاظ مخصوصة ،

فلما انكب العلماء عليها بالدرس والتحليل وقفوا على حقائق عظيمة ، قادت عدداً من الكفار إلى الإيمان ، ومن كان مؤمناً زادته هذه الحقائق إيماناً . وقد كتب العلماء في دراسة لفظ الصحف المطهرة كتباً عديدة ، كلها كتب قيمة ؛ وذلك لما لها من أثر في قضية الإيمان .

العلاقة بين الآيات الثلاث

ذكرت عند تفسير الآية الأولى أن الذين كفروا لن ينفكوا عن كفرهم إلا إذا جاءتهم البينة ، وقد جاءتهم البينة ، ومع ذلك فقد بقي عدد كبير منهم مصرين على كفرهم .

فما هو وجه العموم في دلالة الانفكاك عن الكفر ؟؟
وما هو موضع البينة من ذلك ؟؟

قال تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾ فصلت: ٥٣ . فالآية وعْد من الله تعالى بأن يُري الذين كفروا آياته في الآفاق وفي أنفسهم حتى ﴿ يَتَبَيَّنَ ﴾ لهم أن دعوة القرآن ﴿ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ دعوة حق ، وأنه وحي من الله يجب على الإنسان أن يؤمن به . والضمير " هم " في قوله " سَنُرِيهِمْ " يتوجه إلى الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين ؛ لأنهم هم الذين لم يؤمنوا بأن القرآن وحي من السماء واجب الاتباع ، فأعلن الله عز وجل في هذه الآية أنه سيريهم آياته العلمية في الآفاق وفي أنفسهم حتى يؤمنوا أن القرآن حق ، فإذا آمنوا تحقق معنى انفكاكهم عن حالة الكفر التي هم عليها . ونلاحظ أن آية " فصلت " وافقت آية " البينة " في دلالة العموم ، وهي انفكاك الكفار جميعاً عن كفرهم حال مجيء البينة إليهم.

فهل هناك ما يعد وثيقة لهذ المعنى ؟؟

قال ﷺ : ﴿ لَيَبْلُغَنّ هذا الأمْرُ ما بَلَغَ الليلُ والنهارُ ، ولا يَتْرُكُ بيْتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلا أدْخَلَهُ اللهُ هذا الدّيْنَ بِعِزّ عزيزٍ أو بذلّ ذليلٍ ، عِزّاً يُعِزُّ اللهُ به الإسلامَ ، وذلاً يُذِلّ به الكُفْرَ ﴾ رواه أحمد .

فبيَّن المصطفى ﷺ في هذا الحديث حدود الانتشار المكاني للإسلام ، وذلك على وجهين :

ما بلغ الليل والنهار : وكلنا يعلم أن الليل والنهار يبلغان كل مكان في الأرض ، وبلوغ الإسلام مبلغ الليل والنهار دليل على أن الإسلام سيبلغ كل مكان في الأرض ، ومظهر بلوغه إلى هذا الحد هو إسلام من في الأرض جميعاً .

بيت مَدَرٍ ولا وَبَرٍ : المدر هو الحجر ، أي بيت من حجر ، والوبر يقصد به الخيمة ، فكل بيت في الأرض سيدخله هذا الدين ، ومظهر دخوله هو إيمان أهله .

وهذا الانتشار الشامل للإسلام يعني أن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين سينفكون عن كفرهم ، وذلك لا يكون إلا مع حضور البينة ، وهي تلك الحقائق العلمية التي ما زالت تُكْتَشف تباعاً ، فإذا وجد الكافر أن هذه الحقيقة العلمية قد أشار إليها قرآن نزل على رجل أمي في أمة أمية قبل قرون طويلة لم يجد مناصاً من أن يؤمن بالله وبرسوله وبالقرآن أمام ما يتجلى لناظريه من هذه البينة أو تلك . وهذا الانتشار الذي أشار إليه الحديث ذُكِر صراحة في كتاب الله وهو قوله تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ﴾ الصف: ٩ .

﴿ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴾ البينة: ٤

- في الآيات الثلاث السابقة كان المشهد مشهداً عاماً ، ذُكِر فيه انفكاك الكفار على الوجه الذي فصلناه ، أما هذه الآية فقد التفت فيها البيان من المشهد العام إلى مشهد خاص ، وهو الذين كفروا من أهل الكتاب دون سواهم من الكفار ، وفي ذلك ملحظان رئيسان :

الأول : أن الإنسان له حالان متباينان في التعامل مع البينة ، وهما الإيمان والاختلاف ، أما الإيمان فقد أشارت إليه الآيات الثلاث الأولى ، وهو انفكاك الكفار عن كفرهم حال مجيء البينة ، وأما الاختلاف فهو ما صرحت به هذه الآية . **فما هي دواعي هذا التباين في تعامل الإنسان مع البينة ؟**

● طـول الأمد

رسالة السماء في أول أمرها تكون غضة طرية ، لم يعلق بها ، بعدُ ، شيء من أهواء الناس وأفهامهم المتباينة ، فإذا طال عليهم الأمد علق بالدين كل ذلك ، وشرع الناس في البعد عن أصل الدين شيئاً فشيئاً . وفي هذا المعنى قول موسى عليه السلام لقومه بعد أن عبدوا العجل في غيابه :﴿ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَمۡ يَعِدۡكُمۡ رَبُّكُمۡ وَعۡدًا حَسَنًاۚ أَفَطَالَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡعَهۡدُ أَمۡ أَرَدتُّمۡ أَن يَحِلَّ عَلَيۡكُمۡ غَضَبٞ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ طه: ٨٦ . وقال تعالى في خطاب المؤمنين :﴿ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ ﴾الحديد: ١٦ .

فمن شأن الناس في الأرض أنهم ينحرفون عما أنزله الله إليهم مع تطاول مكث هذه " البينة " في الأرض ، ولذلك كان من سنة الله فيهم أن يرسل إليهم رسولاً كلما وقعوا في ذلك الانحراف ؛ ليهديهم إلى سواء السبيل .

● الخلافات العلمية

تأتي البينة ﴿ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴾ فتنفتح العقول على أبواب واسعة من العلم ، وهو الوجه الآخر للبينة ، الذي أشرت إليه في معنى ﴿كُتُبٞ قَيِّمَةٞ﴾ وقوله تعالى :﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا بَيَانَهُۥ ﴾ من سورة " القيامة " . إلا أن قصور الفهم أو سوء التعامل مع ذلك العلم يُفْضي إلى الاختلاف والتفرق ، وهو ما صرّح به جل شأنه ، إذ سمّى البينة باسم العلم في قوله: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ ﴾ آل عمران: ١٩. فعلّق جل شأنه اختلافهم على حصول " العلم " لديهم ، فقد اختلفت أفهامهم ، وكان لكل فهم أتباع ينصرونه ، فأصبحوا بذلك فِرَقاً يُعادي بعضها بعضاً . فالنصارى فرق عديدة ، وكذلك هم اليهود .

الثاني : والملحظ الثاني الذي لاح لي في قراءة الآية هو أنها بمثابة تحذير للمسلمين من الوقوع فيما وقع فيه أهل الكتاب ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى هو إشعار من الله تعالى بأن أهل الإسلام ماضون على ما مضى عليه اليهود والنصارى ، وذلك من حيث

أنهم مُدْرجون في معنى " أهل الكتاب " حتى وإن لم يَسْرِ عليهم ذِكْر المصطلح في هذه الآية تحديداً ، وقد صرّح المصطفى ﷺ بذلك في قوله : ﴿ لَتَرْكَبُنّ سَنَنَ من كان قَبْلَكم شِبْرَاً بِشِبْرٍ ، وذِرَاعاً بِذِراعٍ ، حتى لَو أنّ أحَدَهُم دَخَل جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُم ..﴾ رواه الحاكم . وقد كان ذلك إذ تفرّق أهل الإسلام إلى فرق عديدة مع انطلاق مسيرة الدرس والبيان في كتاب الله ، كالمعتزلة والسنة والشيعة والمجسمة والمعطلة والجبرية .. إلخ . وكل فرقة ترى أن الحق في جانبها ، وأن المخالف لها ضال أو كافر .

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥ ﴾ البينة: ٥

أي أنهم تفرقوا بعد حضور البينة ، والحال أن الله تعالى لم يأمرهم بذلك ، إنما أمرهم بعبادته وإخلاص الدين له .. إلخ .

● جاء في التفسير أن اللام في قوله تعالى : ﴿ لِيَعۡبُدُواْ ﴾ بمعنى " أَنْ " أي : وما أُمروا إلا أن يعبدوا الله ... وذكروا في ذلك آيات أخرى انتهجت نفس الأسلوب ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمۡ ﴾ النساء: ٢٦ . وقوله : ﴿ وَأُمِرۡنَا لِنُسۡلِمَ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ الأنعام: ٧١. وقوله ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ ﴾ الصف: ٨

والرأي عندي أن هذا التأويل تأويل مردود ؛ لأن تأويل اللام بالحرف " أن " يستدعي تبرير العدول عنه إلى اللام ، ولم يكن لدى الأئمة من تبرير سوى القول بأن هذا الأسلوب جارٍ في اللغة باستخدام " أن " وليس باستخدام اللام . وقولهم هذا يوجب أن يتوجه القرآن إلى استخدام " أن " لا إلى استخدام اللام ؛ لأنها الأداة المعتمدة في هذا الأسلوب . ولكنا نرى القرآن يستخدم اللام ، فإذا علمنا أن القرآن بيان راقٍ يقصر عن بلوغ شأوه أي بيان ، كان لزاماً النظر إلى دلالة الآية في إطار ما استخدمه القرآن ، وبيان ذلك فيما يلي :

إذا قلتَ : أَمَرْتُه أنْ يجلِسَ ...كان مضمون الأمر هو الجلوس ، أي : اجْلِسْ

وإذا قلتَ : أَمَرْتُه لِيَجْلِسَ ... لم يكن الجلوس هو مضمون الأمر ، بل هي أوامر أخرى وجَّهْتها إليه ، وهي أوامر من شأنها أن تُفْضي به إلى الجلوس ، وهذا هو مضمون اللام في ﴿ لِيَعْبُدُواْ ﴾ لم يُرِدْ به أنه أمرهم بالعبادة إنما أراد به جملة الأوامر التي أُمِروا بها في الصحف المطهرة ، والغاية من هذه الأوامر هي ﴿ لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي ليكونوا بالامتثال لهذه الأوامر عباداً لله حقاً .

- ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ **إخلاص الشيء : تنقيته من الشوائب** . وقد جاءت كلمة ﴿ مُخْلِصِينَ ﴾ حالاً من أهل الكتاب ، وقد ذكرْتُ من قبل أن الأوامر المنزلة في الصحف المطهرة إنما أنزلها الله تعالى ليتعبد الناس بها إليه . وعلى ذلك فإن إخلاصها لله هو أن يأتي بها الإنسان وهو لا يريد بها إلا وجه الله تعالى ، وقد جاء في الحديث القدسي ﴿ **قال اللهُ تباركَ وتعالى : أنا أَغْنَى الشُّركاءِ عنِ الشركِ ، من عَمِلَ عملاً أَشْرك فيهِ معيَ غيري تركْتُهُ وشِرْكَه** ﴾ رواه مسلم

والدين في الآية يعني الخضوع ، وهذه الكلمات استدل بها الفقهاء على أن النية شرط لقبول العمل عند الله تعالى .

- ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ حال أخرى من أهل الكتاب المُشار إليهم بواو الجماعة في كلمة ﴿ لِيَعْبُدُواْ ﴾ وهي جمع كلمة " حنيف " والحَنَفُ في اللغة هو المَيْلُ . فقيل في تأويل ذلك : مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام . وهو تأويل من شأنه أن يهدم كل ما توجهت إليه من تأويل ، ليجعل دلالة ﴿ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ التي تفرق أهل الكتاب بسبب اختلاف تعاملهم معها مقصورة على ما بُعِث به محمد ﷺ ، ولذلك كان لزاماً النظر في آفاق دلالة " الحنيفية " لنرى إن كان هناك ما يُسوّغ وصف أهل الكتاب بأنهم حنفاء ، لتكون الكلمة بذلك لفظاً يُرَاد به كل دين أنزله الله **ليميلوا به إليه** :

إن الله تعالى إذا سمّى شيئاً باسم كان هذا الاسم هو ذات المسمى ، وقد قال في إبراهيم عليه السلام : ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ

ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾ آل عمران: ٦٧ . فصرّح في الآية بلفظين مختلفين ، وجمع بينهما من خلال حرف العطف الواو ، وهو عطف يقتضي المغايرة بينهما ، وفي ذلك ردٌّ لقول من قال بأن دلالة الحنيف هي ذات دلالة المسلم . أي أن أبانا إبراهيم عليه السلام كان مشتملاً على صفتين : الحنيف والمسلم ، **فما معنى الحنيف ؟؟**

لبيان ذلك نبدأ بكلمة " مسلم " فهي اسم فاعل من الفعل : أسلم ، بمعنى خضع ، وهو من الأفعال التي تتعدى بالحرف ، فيُقال : أسلم لله ، أي خضع له . ووجه خضوعه لله هو قبول ما أنزله الله على رسله ، والامتثال لما تضمنه ذلك التنزيل . فالأصل اللغوي للكلمة هو الخضوع على أي وجه كان ، فتم توجيهه إلى الله تعالى .

وكذلك هو الشأن مع كلمة "حنيف " فهي مشتقة من الحنف ، والحنف هو الميل ، وفعله فعل لازم يتعدى بالحرف ، مثلما هي كلمة : أسلم . وقد وردت في كتاب الله على هذا الأصل ، في سياق يذكر فيه جل شأنه تحريم الشرك وقول الزور : ﴿ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيۡرَ مُشۡرِكِينَ بِهِۦ ﴾الحج: ٣١ . أي مائلين لله ، **فما معنى الميل لله ؟**

أُجيب على هذا السؤال بعد بيان النسق الذي جاءت عليه كلمة " حنفاء " في كتاب الله ، فقد ذُكِرت ثنتي عشرة مرة ، اقترنت في عشر منها بنفي الشرك عمن كان حنيفاً ، أما الموضعين الآخرين فلم يُصرّح فيهما بنفي الشرك ، وذلك التفاتاً إلى أن كلاً منهما وردت فيه صفة لازمة لعدم الشرك ، أما الموضع الأول فهو قوله تعالى :﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴾النساء: ١٢٥. فذكر مقام الخُلّة ، وليس لإبراهيم عليه السلام أن يبلغ درجة الخُلّة إلا وهو متجرد من أدنى دقائق الشرك ، ولا أقصد بالشرك ذلك المعنى الذي توعّد الله صاحبه بالويل والثبور ، إنما أقصد به التجرد من التوجه بأي حاجة من الحاجات إلى غير الله تعالى حتى وإن كانت حلالاً ، وشاهد هذا المعنى ما رواه أبي بن كعب رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال :﴿ **إن إبراهيم حين قيدوه ليلقوه في النار قال : لا إله إلا أنت ، سبحانك رب العالمين . لك الحمد ولك الملك لا شريك لك . قال : ثم رموا به في المنجنيق من**

مضرب شاسع ، فاستقبله جبريل ، فقال : ياإبراهيم ، ألك حاجة ؟ قال : أما إليك فلا ، فقال جبريل : فاسأل ربك ، فقال : حسبي من شؤالي علمه بحالي ، فقال الله وهو أصدق القائلين : ﴿ قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴾ الأنبياء: ٦٩.

لقد كان عليه السلام يعلم أن جبريل عليه السلام لم يأته إلا بأمر من الله تعالى ، ولو طلب منه أن يُنْجيه مما أراده القوم به لما كان بذلك يطلب حراماً ، ولكنه عليه السلام وطّن نفسه على أن لا يطلب شيئاً إلا من الله وحده ، وهذا هو وجه دلالة الحنيف ، وهو أن يكون المسلم مائلاً بكليته إلى الله تعالى ، فلا يسأل أحداً شيئاً ، ومن هذا الوجه تأويل قول رسول الله ﷺ في صفة السبعين ألفاً الذين يدخلون الجنة بغير حساب ﴿ لايَرْقُون ولا يَسْتَرْقون ﴾ وذلك أن طلب الرقية أمر مشروع ، ومع ذلك فهم لا يميلون إليه ، بل يميلون إلى الله ، ذلك أنهم يَكِلون أمرهم إليه ، وهو ما ذكره ﷺ في ختام الحديث ذاته إذ قال :﴿ وعلى ربهم يتوكلون ﴾ . وهو أيضاً معنى قول رسول ﷺ لابن عباس : ﴿ ... وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله .. ﴾ رواه أحمد والترمذي .

وأما الموضع الثاني الذي لم تَرِدْ فيه صيغة نفي الشرك مع كلمة ''حنفاء '' فهو هذا الموضع من سورة '' البينة '' ومع ذلك فإن السياق لم يَخْلُ مما يشير إلى هذا المعنى ، وهو قوله تعالى : ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ والدين هو الخضوع ، وإخلاص الخضوع لله هو أن لا تجعل له شريكاً فيما تعمل .

وهذه الدلالة الحاضرة في كلمة ﴿حَنِيفًا ﴾ ليست مقصورة على صحف القرآن ، بل هي حاضرة أيضاً في صحف التوراة وصحف الإنجيل ، أي أن موسى وعيسى عليهما السلام كانا حنيفين ، وكذلك هم أنبياء الله ورسله جميعاً . وقد مر معنا في آية ﴿الحج ﴾ ما يُعَدّ دليلاً على أن أهل الإيمان أيضاً مؤهّلون لأن يكونوا حنفاء . وذلك أن حال كلمة ﴿ حُنَفَآءَ ﴾ كحال كلمة ''المسلمين '' التي استوعبت أهل الرسالات السماوية جميعا : ففي شأن إبراهيم عليه السلام قال تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ البقرة: ١٣١. ومن قبله نوح عليه السلام إذ قال لقومه :﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ

وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٧٢ . وقول موسى عليه السلام لبني أسرائيل : ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴾ يونس: ٨٤ . وقول عيسى عليه السلام لبني إسرائيل : ﴿ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران: ٥٢ .

فالحنيفية خط عام مثلما هو خط الإسلام . فهو ليس وقْفاً على من آمن برسالة محمد ﷺ ، بل هو سارٍ أيضاً على جيل المؤمنين من أتباع موسى وعيسى عليهما السلام . فالمسلم هو من أسلم وجهه لله ، أي خضع له . والحنيف هو من حنف إلى الله : أي مال إليه ، بمعنى جعل أمره كله لله ، فلا يدين في أي شأن من شؤونه إلا لله تعالى ، وهو قوله تعالى ﴿ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾

- ﴿ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ هاتان العبادتان خصّهما جل شأنه بالذكر وذلك من قبيل ذِكْر الخاص بعد العام ، فقوله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ ﴾ ينساق إلى كل أمر عبادي أمر به الله في الصحف المطهرة ، والصلاة والزكاة من جملة تلك الأوامر ، فخصهما الله بالذكر لعلو قدرهما ورفعة شأنهما .

- ﴿ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾

﴿ وَذَٰلِكَ ﴾: اسم إشارة أشار به جل شأنه إلى كل مادل عليه قوله : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ .

﴿ دِينُ ﴾ الدين هوما يدين به الإنسان ، أي يخضع له ، ووجه خضوعه له أن يكون فعله وقوله موافقين لنصوص الدين .

﴿ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ : كلمة "دين" مضاف و"القيِّمة" مضاف إليه ، أي أنها ليست وصفاً للدين ، فالدين مذكر و" القيِّمة " كلمة مؤنثة . فما هي " القيِّمة " التي أُضيف إليها ذلك

الدين ؟

وردت في ذلك أقوال عديدة ، أقربها إلى النص وإلى المعنى قول الزَّجَّاْجِ : **ذلك دين الملة القيمة** ، فجعل **القيمة** وصفاً لكلمةٍ محذوفة . وقول الطالقاني : **القيمة هنا هي تلك الكتب التي جرى ذكرها** .

سمَّى الله هذه السورة باسم " البينة " فكان الاسم هو المحور الذي انتظم آيات السورة جميعاً ، وقد عرَّف الله تعالى البينة بقوله : ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ۝٣ ﴾ فهي بذلك على ثلاثة أركان : **رسول من الله ، صحف مطهرة ، كتب قيمة** .

وكل ركن من هذه الأركان تسري عليه دلالة " البينة " وذلك أن البينة مشتقة من الفعل : بَانَ يَبِيْنُ ، بمعنى الظهور والجلاء ، وهي صفة مشبهة على وزن " فَيْعَل " والصفة المشبهة تُطْلق على ما كان ثابتاً من الصفات ، أي أن صفة ﴿ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ صفة ثابتة في محمد ﷺ فهو بينة ، وكذلك هو الشأن مع رسل الله جميعاً ، ولكن الكفار ينكرون هذه البينة بألسنتهم وبأيديهم ؛ علوّاً واستكباراً . والصحف المطهرة أيضاً " بينة " وذلك أن صياغة الكلام فيها ، وما فيها من بيان يقطع بأنها ليست من إنشاء الخلق ،إنما هي من وحي السماء .والكتب القيمة أيضاً " بينة " لأن الدرس في الصحف المطهرة يكشف النقاب عن حقيقة أن هذه الصحف رسالة من السماء ، وأن من جاءهم بها رسول من الله . .

ووجه اتصاف الكتب المستنبطة من الصحف المطهرة بأنها " قيمة " هو أنها قامت على فهم قويم " قَيِّم " وإضافة الدين إليها ﴿ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ فيه التفات إلى ما وقع فيه أهل الكتاب من تفرق ، وذلك أن الفهم المدون في الكتب المستنبطة من الصحف المطهرة إذا كان فهماً قيِّماً فلن يكون معه تفرق ، فكان وقوعهم في التفرق دليلاً على تنكبهم سبيل الكتب القيمة ، إما بسوء فهم أو باتباع هوى ..

- **تأتيهم البينة ...جاءتهم البينة**

اقترنت البينة بفعلين : ﴿ تَأْتِيَهُمُ ﴾ و ﴿ جَآءَتْهُمُ ﴾ واللفظ القرآني لفظ دقيق ، لا يُوضَع في موضع إلا وكان من وراء هذا الوضع معنى مخصوص . فما الحكمة من اقتران

البينة مرة بالفعل : تأتيهم ، وأخرى بالفعل : جاءتهم ؟؟

التمييز بين الاقترانين يستوجب النظر في وجوه استخدام الفعلين في كتاب الله ، وهو أمر يطول ، ولذلك سأقتصر على ذكر مامن شأنه أن يبين المستوى الدلالي للكلمتين في سياق السورة التي نحن بصدد بيانها :

- **الفعل : جاء**

1 ـ **أسنده الله إلى النفاق وأهله :** ومن ذلك قوله : ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ ﴾ المنافقون: ١

2 ـ **وأسْنِد إلى الكذب :** ومن ذلك قوله تعالى في خبر إخوة يوسف :﴿ وَجَآءُوٓ أَبَاهُمْ عِشَآءً يَبْكُونَ ﴾ يوسف: ١٦ . وقوله تعالى :﴿ وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍ ﴾ يوسف: ١٨

3 ـ **وأسْنِد أيضاً إلى ما يحمل دلالة الجهد والمشقة :** ومن ذلك قوله :﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ ﴾ يس: ٢٠ . وقوله ﴿ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ ﴾ عبس

4 ـ **وأسْنِد إلى ما فيه بأس شديد :** ومن ذلك قوله :﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ﴾ الإسراء: ٨١ . وقوله ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ الفجر: ٢٢

- **الفعل : أتى**

1 ـ **أسنده الله إلى إقبال الوحي :** قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ ﴾ البقرة: ١٣٦

2 ـ **وكل إقبال سَلِس لا يكتنفه عسر في الإقبال يُقال له : أتى** ، ومن ذلك أن كل ما يقضي به الله من رحمة أو من عذاب يُسْتخدم معه هذا الفعل ، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾ البقرة: ٢٦٩ وقوله : ﴿ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾ آل عمران: ٢٦ . وقولـه في شأن العبد

الصالح : ﴿ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا ﴾ الكهف : ٦٥ . وقوله : ﴿ أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ النحل: ١ . وقوله :﴿ أَفَأَمِنُوٓاْ أَن تَأْتِيَهُمْ غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ﴾ يوسف: ١٠٧

ومن خلال هذا الاستقراء السريع ندرك أن الفعل ﴿ أتى﴾ يُستخدم مع إقبال ما هو حق ويقين ، ولذلك قال تعالى ﴿ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ فدل بذلك على أن هذه البينة ستكون من الجلاء ومن السلاسة بالقدر الذي لا يملك أمامه الكافرون إلا أن ينفكوا عما هم عليه من كفر . وأما قوله :﴿ جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴾ فقد ذكره جل شأنه قرين ما هم عليه أهل الكتاب من تفرق ، ومستند ذكر الفعل ﴿ جاء ﴾ هو قوله تعالى :﴿ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴾وذلك أن هذه الكتب مؤسَّسة على ما يفهمه الناس من نصوص الصحف المطهرة ، وليس كل فهم صحيحاً ، فهناك أفهام خاطئة وأفهام قاصرة وأفهام ملتبسة ، وكل ذلك يُعَدّ سبيلاً للاختلاف والتفرق ، ومع هذا التفرق تكون المعـاداة والبغضاء والتعصب ، وكل ذلـك لا يجد معه الناس إلا الشقاء والعنت .

2 ـ مآل الكفار ومآل المؤمنين

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ البينة: ٦ – ٨

الناس يوم القيامة فريقان ؛ فريق في النار ، وفريق في الجنة ، وهو ما أثبته جل شأنه في هذا المقطع ، وهذا المعنى يستوجب سريان لفظ أهل الكتاب في قوله : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ

أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ على الملل الثلاث : اليهود والنصارى والمسلمين ، وليس فقط على أولئك الذين كانوا على عهد رسول الله ﷺ .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ البينة: ٦

البرية : الخَلْقُ ، من : بَرَأَ يَبْرَأُ ، ومنه اسم الله تعالى **﴿ البارئ ﴾**. وهو اسم يختلف عن اسمه سبحانه **﴿ الخالق ﴾** وذلك من جهة أن الخلق يتوجه أيضاً إلى ما يكون من تقديرات الخلق قبل حدوث الخلق الفعلي ، أما **﴿ البارئ ﴾** فتتوجه دلالته إلى الخلق الفعلي ، قال تعالى : ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ الحديد: ٢٢ . **من قبل أن نبرأها :** أي من قبل أن يكون لها وجود فعلي .

وكلمة ﴿ شَرُّ ﴾ أفعل تفضيل ،أي أن أكثر الخلق شراً هم الذين كفروا ، فهم شر على أنفسهم وعلى سواهم من الناس بل وعلى كل ما برأ الله في الأرض .

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ البينة: ٧

الإنسان والعمل الصالح قرينان لا يفترقان ، إذا ذهب أحدهما ذهب الآخر ، فلا قيمة للإيمان إن لم يكن هناك عمل صالح ، والعمل الصالح لا ينتفع به الإنسان إن لم يكن مشتملاً على الإيمان . وقوله ﴿ خَيْرُ ﴾ أفعل تفضيل .

ونلاحظ أن الآيتين استوعبتا الناس جميعاً تحت لفظي : ﴿ خَيْرُ وشَرُّ ﴾ وذلك أن كلاً منهما أفعل تفضيل ، فخير البرية هو أكثرهم خيراً ، وشر البرية هو أكثرهم شراً ، ولكن الناس ليسوا على هذا الحدين ، إذ هناك من هو ذا خير أقل ، وفي الشر هناك من هو ذا شر

أقل . وهذا النسق البياني يشبه ماجاء في سورة الليل ، التي وضعت الناس تحت بابين اثنين لاثالث لهما ، وهما : **الأشقى والأتقى** ﴿ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ﴾ الليل: ١٤ – ١٥ ﴿ وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ﴾ الليل: ١٧ والناس ليسوا جميعاً على هذين الحدين ، فهناك من هو أقل تقوى وهناك من هو أقل شقاء ، وذلك على مستويات متباينة فيما بين هذين الحدين ، وضابط تصنيف هذا وذاك هو مقدار الخير ومقدار الشر ، وذلك أن الخيرية إذا تناقصت إلى الحد الذي يجعل المرء أقرب إلى الشر منه إلى الخير كان من شر البرية ، وشر البرية أيضاً ليسوا على مستوى واحد بل هم عل مستويات عديدة ، وكل مستوى له من عذاب النار نصيب معلوم ، فهناك من يصيبها حرها قليلاً ثم يخرج من النار ، وهناك من يكون خالداً مُخلّداً فيها ، والعياذ بالله.

﴿ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴾ البينة: ٨

- ﴿ جَزَآؤُهُمْ ﴾ الجزاء هو ما يُجْعل مقابلاً لعمل يأتيه الإنسان . وقد جاء في الأثر : **الجزاء من جنس العمل** . وقد كان هذا الفريق في الحياة الدنيا ﴿ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴾ ، أي كانوا متلبسين بفعل الخيرات ، فكان الخير جزاء لهم يوم القيامة ، ولا خير في ذلك اليوم إلا الجنة وما فيها من نعيم .

- ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ ﴾ عَدَنَ بالمكان يعْدِن عَدْناً وعُدُوناً : أقام . ومَعْدِن الشيء مركزه ومستقره ، قال الأعشى :

وإن يُسْتَضَافوا إلى حُكْمِه يُضَافُوا إلى راجحٍ قد عَدَنْ

والقيمة الدلالية في إضافة كلمة "جنات" إلى كلمة "عدن" يبينها قوله تعالى : ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴾ الكهف: ١٠٨ . وذلك أن الإنسان لايرغب في التحول عن مكان إلى آخر إلا إذا بلغ حد الملال فيه ، أو أنه يجد في مكان آخر ما لا يجده في محل إقامته ، وكل ذلك لا مكان له في قلوب أهل الجنة ، لا يلحقهم ملل ، ثم هم في نعيم متجدد لا انتهاء له ، وقد جاء في الحديث القدسي ﴿ أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطرعلى قلب بشر ﴾ رواه البخاري ومسلم ، ولذلك هم لا يبغون عنها حولاً ، وهو مدلول "عدن" . وكلمة "جنات" جمع جنة ، وهي نكرة ، والنكرة تفيد العموم ، والعموم لا يكون إلا مع متعدد ، وهو المراد من تنكير" جنات "وذلك أن المذكورين في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ ليسوا على مستوى واحد ، بل هم على مستويات عديدة ، ولكل مستوى جنة تناسبه .

● ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴾ مع الذين كفروا لم تُسْتخدم كلمة أبداً ، واستخدمت مع الذين آمنوا ، وهذا المظهر البياني لم يأتِ عَفْواً ، بل هو بيان مقصود ، بمعنى أن خلود الذين كفروا في النار ليس خلوداً مُؤبّداً ، أما خلود الذين آمنوا وعملوا الصالحات فخلود مؤبد ، وبيان هذه القضية أمر يطول ، ولذلك سأكتفي بشاهد من كتاب الله يحمل ذات السمات الواردة في هذا البيان :

ذكر اللّه عز وجل الذين شقوا بأنهم خالدون في النار ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ هود: ١٠٧ . ثم استثنى فقال : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾هود: ١٠٧ . وهو استثناء يُشْعِر بأن الله

تعالى قد يشاء إخراجهم ، ولذلك جاءت الجملة الأخيرة تبريراً لذلك الاستثناء : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ هود: ١٠٧

وفي الآية التالية للآيتين السابقتين من سورة «هود» ذكر الله الذين سعدوا بأنهم خالدون في الجنة : ﴿ مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ ﴾ هود: ١٠٨ . ثم استثنى من ذلك بقوله : ﴿ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ﴾ هود: ١٠٨ . وهو استثناء يُشْعِر بأن ذلك الخلود عرضة للانقطاع ، ولذلك ختم جل شأنه الآية بقوله :﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾ هود: ١٠٨ .إشارة إلى أن انقطاع ذلك الخلود لايعني انقطاع عطاء النعيم ، بل هو عطاء غير مجذوذ ، أي غير منقطع . وقد فصلت هذا المعنى تفصيلاً شافياً في كتاب ﴿ **خلق الإنسان ..أطوار الخلق** ﴾

- ﴿ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ بعد أن ذكر الله تعالى ما أعده للذين آمنوا في الجنة من نعيم مادي متجدد حقق جل شأنه دلالة حصول الرضى المتبادل بينه وبينهم في هذه الكلمات ، وقد قدّم جل شأنه رضاه على رضاهم ؛ لأنه هو الأصل ، فبرضى الله عن المرء يجد المرء الرضى في نفسه عن ربه .

﴿ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ ورضاهم في ذلك اليوم ليس كرضاهم في الحياة الدنيا ، فالرضى الدنيوي جعله الله ركناً من أركان الابتلاء بالإيمان ، وهو أن يرضى المؤمن عن ربه حتى وهو مبتلى في جسده أو في ماله أو في أهله . **أما الرضى الأخروي فهو رضى من لم يترك له الرحمن بابا من أبواب النعيم إلا وقد فتحه الله على مصراعيه بين يديه** .

﴿ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾

﴿ ذلك ﴾ اسم إشارة لما سبق ذكره من النعيم .

﴿خشي ربه ﴾ هذا هو محور هذه المنظومة ، **فباشتمال القلب على الخشية يتحقق الإيمان والعمل الصالح** ، فإن لم تكن الخشية حاضرة في القلب فقدْ فَقَدَ الإنسان المحرك الذي يحركه نحو فعل الصالحات .

الخط البياني

فيما يلي إدراج لمقاطع السورة في هذا الخط البياني يبرز ما بينها من ترابط : □

الذين كفروا والبينة

﴿ لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾

1 ـ **الإيمان**

2 ـ التفرق

وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ

فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ

أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا

ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨

1ـ **مآل من كفر بالبينة**.

2ـ **مآل من آمن بالبينة**.